﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦﴾ [السجدة: 16]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

من صفات أهل الإيمان التعلق بالله تعالى دائمًا

لمّا ذكر اللّه ﷻ في الآية السّابقة الدَّرجة العالية للمؤمن الذي إذا ذُكِّر بالقرآن حصلَ منه سجودٌ بالأعضاء، وحمدٌ وتنزيهٌ باللِّسان، وخضوعٌ بالقلب والجَنان، ذكر في هذه الآية صنفًا آخرَ من أهل الإيمان، وهم الذين تتجافى جُنوبهم عن المضاجع، ويبتعدون عن الفراش الفخيم، ويُهرَعون إلى الصَّلاة داعين ربَّهم خوفًا من عقابه وطمعًا في ثوابه.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَتَجَافَىٰ﴾: (جفو) يدُلُّ على أصلٍ واحِدٍ، وهو نُبُوُّ الشَّيءِ عن الشَّيء[1]، والمعنى المحوريُّ تباعدُ الشَّيء عن مقرِّه الذي حقُّه أن يستقرَّ فيه، ومنه: (تجافَى جنبُه عن الفراشِ): نَبا، ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾؛ أي: تتباعدُ؛ لسهرِهم في قيام اللَّيل والعبادة[2]؛ أي: ترتفع وتتنحَّى[3]، والتَّجافي: التَّباعد والمُتاركة.

2) ﴿جُنُوبُهُمۡ﴾: (جنب) أصلانِ مُتقاربانِ؛ أحدُهما: النّاحيةُ، والآخرُ البُعدُ[4]، والمعنى المحوريُّ: ناحيةٌ منَ الشَّيء خارجيَّةٌ غليظةٌ أو شديدةٌ تُكملُ تجوُّفَه وتحفظُ ما بداخلِه، كشِقِّ الإنسان يُكملُ بناءَ جوفِه وبدنِه، وكجانِبَي الوادي يُكملانِ تجوُّفَه ويحفظانِ ماءَه، وكلاهما خارجيٌّ شديدٌ غليظٌ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جفو).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (جفو).
(3) أبو البقاء الكفوي، الكليات: فصل التاء.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جفو).

3) ﴿ٱلْمَضَاجِعِ﴾: (ضجع) أصلٌ واحدٌ يدُلُّ على لُصوقٍ بالأرضِ على جَنْبٍ[1]، و(ضُجوعًا)، بالضَّمِّ: وضعَ جنبَه بالأرضِ، (المَضْجَعُ) كمَقْعَدٍ: موضِعُه، والجمعُ: (المضاجعُ)[2]، فالمَضْجَعُ: اسم مكانٍ من ضجَعَ: فراشٌ؛ مكانُ النَّوم والرّاحة، والمعنى المحوريُّ: استِلقاءٌ أو انطِراحٌ بثِقَلٍ، كـ(الاضطِجاع) لثِقَلِ البدنِ أو استِرخائِه، وكمَيل الثَّنايا، والأصلُ فيها أن تكون قائمةً شديدةً، فكأنَّما ذهبت القوَّةُ التي تنصبُها فمالَتْ[3].

4) ﴿وَطَمَعًا﴾: (طمع) أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على رجاءٍ في القلبِ قويٍّ للشَّيءِ[4]، والطَّمَعُ: نزوعُ النَّفسِ إلى الشَّيءِ شهوةً له، (طَمِعْتُ أطمَعُ طمعًا وطُماعيةً)، فهو (طَمِعٌ وطامِعٌ)[5]؛ لذلك يدورُ المعنى المحوريُّ حولَ مُحاولةِ الإطباقِ على الشَّيء وضمِّه مع تهيُّئٍ يُقوّي الرَّجاء في ذلك[6].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يسعى أهل الإيمان إلى كل ما يقربهم إلى الله تعالى

هذه الآيةُ تذكر صنفًا آخرَ من أهل الإيمان من صفاتهم السَّهرُ وقلَّةُ النَّوم، مُتعبِّدين داعين ربَّهم خوفًا من ناره وطمعًا في جنَّته مع عدم نسيانِهم حقوق العباد، فهم يُؤدُّون زكاةَ أموالهم فرضَها ونفلَها.

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

### نكتةُ فصل قوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ عمّا قبلَها:

فضلُ قيام اللَّيل والالتجاءِ إلى الله تعالى

فُصِلت الآيةُ في قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ عمّا قبلَها لأنَّها جاءت استئنافًا[7] لبيانِ بقيَّة محاسنِهم، وهم المُتهجِّدونَ باللَّيلِ[8]،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضجع).
(2) الزبيدي، تاج العروس: (ضجع).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (ضجع).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طمع).
(5) الراغب، المفردات: (طمع).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي: (طمع).
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 227.
(8) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 84.

ولبيان صفةٍ جديدةٍ لهولاء المُؤمنين السّاهرين ذكرًا لله ﷻ، التّاركين مضاجعَهم رغبةً في كرم الله وعطائه، ورهبةً من نارِه، أو لبيان نوعٍ من أنواع طاعاتهم[1]، ولأنَّها حالٌ من الموصول؛ أي: الذين إذا ذُكِّروا بها خرُّوا ومن حالهم تتجافى جنوبُهم عن المضاجعِ، فثَمَّ ترشيحٌ لصفات المُؤمنين؛ فهم يخرُّون ويُسبِّحون ولا يستكبرون.

### دلالةُ التَّعبير بالمُضارع ﴿تَتَجَافَىٰ﴾ مادَّةً وصيغةً:

كـثرةُ السَّـهر طاعةً لله وذكرًا له

آثر القرآن الكريمُ التَّعبير بالتَّجافي دون غيره منَ الألفاظ؛ لأنَّه يحمل معنى التَّباعد والمُتاركة والارتفاع عن ملذّاتِ النَّفس، من باب تقديم القربِ إلى الله على حظوظ النَّفس، وفيه تصويرٌ لحالة النَّفس عند مُنازَعتِها لرغباتها، وذلك بجَعل جفوةٍ تكون فاصلةً بين رغبةِ النَّفس وداعي القُرب إلى الله.

وجاء التَّعبير بالمضارع هنا لإفادة تكرُّر ذلك وتجدُّدِه منهم في أجزاءٍ كثيرة منَ الأوقات المُعدَّة للاضطجاع، وهي الأوقاتُ التي الشَّأنُ فيها النَّوم، وهذا التَّجافي يتكرَّرُ في اللَّيلة الواحدة، وفي هذا دليلٌ على أنَّهم يُكثرون السَّهر بقيام اللَّيل والدُّعاء لله[2]، فكان في توظيف المضارع بيانُ حالتِهم الشَّريفة، ويُؤكِّد ذلك صيغةُ (التَّفاعل) التي تدلُّ على المُبالغة في تحسين ذلك بإزالةِ النَّوم بالكلّيَّة، وذلك ببُعد جُنوبِهم عن المضاجع.

### بلاغةُ الكناية في مُجافاة الجُنوب عن المضاجع:

التِذاذُ النُّفوس بالقيام ومقاومة دعوةِ المضاجع

تظهرُ بلاغة الكناية في رسم صورةٍ مرئيَّةٍ حركيَّةٍ تهزُّ الوجدان، هي صورة المضاجعِ في اللَّيل تدعو الجُنوبَ إلى الرُّقاد والرّاحة والتِذاذِ المنام، لكنَّ هذه الجنوبَ لا تستجيبُ، وإن كانت تبذُلُ جهدًا في مُقاومة دعوةِ المضاجع المُشتهاةِ؛ لأنَّ لها شغلًا عن المضاجع اللَّيِّنة والرُّقادِ اللَّذيذ، شغلًا بربِّها، شغلًا بالوقوفِ في حضرتِه.

(1) الشوكاني، فتح القدير: 4/ 293.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 227.

### سرُّ تخصيص الجُنوبِ مع دلالةِ الإضافة:

المؤمن لا يغفل عن عبادة خالقه

خصَّص القرآن الكريم ذكر الجُنوب دونَ غيرها في قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾؛ لأنَّ للجُنوبِ إلصاقًا واتِّصالًا تامًّا بالفُرُش وموضعِ النَّوم، ودلَّت الإضافةُ في قوله: ﴿جُنُوبُهُمْ﴾ على أنَّ الجنب جزءٌ منهم، وفى هذا إشارةٌ إلى تجافي الجسم كلِّه عن النَّوم.

### دلالةُ تعدية الفعل: ﴿تَتَجَافَىٰ﴾ بـ﴿عَنِ﴾:

تناسبُ الفعل والحرف في الدَّلالة على التَّرك

تعدَّى الفعلُ ﴿تَتَجَافَىٰ﴾ بحرفِ الجرِّ ﴿عَنِ﴾ في قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾؛ لأنَّه مُناسبٌ لموقف التَّجافي؛ ذلك أنَّ الحرفَ ﴿عَنِ﴾ دالٌّ على المُجاوزة، والمُجاوزةُ تركٌ وبُعدٌ، فكان ثَمَّ تناسبٌ بين الفعل والحرف.

### سرُّ التَّعبير بـ﴿ٱلْمَضَاجِعِ﴾ ودلالةُ تعريفها بـ(أل):

عمومـيَّةُ المضاجع والتَّعريضُ بالكفّار

آثر التَّعبيرَ بالمضاجع دونَ غيرها؛ لأنَّها تُطلَقُ على الفُرُش، وهي جمعُ (مَضْجَع)، وهو مكانُ الضَّجْع؛ أي: الاستلقاء للرّاحة والنَّوم، و(أل) فيه عوضٌ عن المضاف إليه؛ أي: عن مضاجعِهم، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: 41]؛ أي: مأواهم، وهذا تعريضٌ بالمشركين؛ إذ يُمضون ليلَهم بالنَّوم لا يصرفُهم عنه تفكُّرٌ، بل يسقُطون كما تسقطُ الأنعامُ[1].

وقد يُقالُ: إنَّ (أل) هنا جنسيَّةٌ؛ أي: إنَّهم يتجافَون عن كلِّ مَضْجَعٍ، سواءٌ أكان يخصُّهم أم ليس خاصًا بهم؛ فكان التَّعبيرُ بالألف واللّام أوعَبَ وأشملَ من الإضافة.

### نكتةُ التَّعبير بقولِه: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾:

الدُّعاء والصَّلاةُ من بابٍ واحدٍ

آثر النَّظم الحكيم التَّعبير بالفعل: ﴿يَدْعُونَ﴾؛ لأنَّه يُطلَقُ على معانٍ مُتعدِّدة؛ منها الدُّعاء والعبادة والصَّلاة، وهذا المعنى يُرشِّحه سياقُ الآية؛ لأنَّ الدُّعاء والصَّلاة من باب واحد في المعنى؛ حيث قال

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 227.

بعده: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾، وفي أكثر المواضع التي ذُكرت فيها الزَّكاة ذُكرت الصَّلاةُ قبلَها؛ كقوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة: 3]، فيكون التَّعبير عن الصَّلاة بالدُّعاء من باب المجاز المُرسل بذكر الجزء (الدُّعاءِ) وإرادةِ الكلِّ (الصَّلاةِ)، أو المحلّيَّة لأنَّ الصَّلاة محلُّ الدُّعاء.

### دلالةُ التَّعبير بالمضارع: ﴿يَدْعُونَ﴾:

استمرارُ المؤمنين وثباتُهم على الدُّعاء

آثر القرآن الكريم التَّعبير بالفعل المضارع ﴿يَدْعُونَ﴾؛ لأنَّه يدلُّ على التَّجدُّد والاستمرار في الدُّعاء، وهو مُناسبٌ حقَّ المُناسبة؛ لأنَّه لمّا كان هجرانُ المَضْجَع قد يكون لغير العبادة بيَّن أنَّه لها بقوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ﴾، فهو بيانٌ لحالهم؛ أي: داعينَ[1].

### نكتةُ التَّعبير بلفظِ الرُّبوبيَّة وإضافتِه إلى ضميرِهم:

تواترُ إحسانِه والمُناسبةُ اللَّفظيَّةُ بين الآيات

آثر التَّعبير بلفظ الرُّبوبيَّة وإضافته إلى ضميرهم؛ للتَّنبيه على أنَّ دُعاءهم إنَّما يكون بملاحظة ربوبيَّته، وأنَّ إجابة الدُّعاء واستجابتَه من آثار التَّربية[2]، ولأنَّه هو الذي أحسن إليهم بعطفه وكلاءته وحفظه مُعتادًا ذلك منه، فالإحسان يتواترُ مرَّةً بعد مرَّةٍ، ويُضاف إلى ذلك التَّناسبُ الحاصل بين هذه الآية والتي قبلها بذكر ﴿رَبَّهُمْ﴾ في التَّسبيح بحمدِه ﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، ودُعائه ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾.

### نكتةُ التَّعبير بقوله: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾:

تواضعُ المؤمنين واستصغارُهم أعمالَهم

نكتةُ التَّعبير بهذين اللَّفظين الإشارةُ إلى أنَّهم لشدَّة معرفتهم بنقائصِهم لا يعُدُّون أعمالَهم شيئًا، بل يطلبون فضلَه بغير سبب وإن كانوا مُجتهدين في طاعتِه[3]، ومن ثمَّ كان التَّعبير بالطَّمع دون

(1) الشربيني، السراج المنير: 3/ 210.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/ 268.
(3) الشربيني، السراج المنير: 3/ 210.

الرَّجاء، وفيه إشارةٌ إلى خوفهم من عدم إجابة الدُّعاء أو عدم قَبوله لما يلحقُهم منَ التَّقصير في شروط قَبول الدُّعاءِ.

**دلالةُ الموقع النَّحويِّ لقوله: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾:**

الإعرابُ دالٌّ على وصفِ حالهم الدّائمة

يجوز هنا النَّصبُ على الحاليَّة؛ أي: خائفين طامِعين، والحالُ يصفُ هيئتَهم المُتلبِّسةَ بالخوف والطَّمع، ويجوزُ النَّصبُ على المفعول المطلق على تقدير: يخافون خوفًا ويطمعون طمَعًا، والنَّصبُ على المصدريَّة دالٌّ على حدثٍ دون اقترانٍ بزمنٍ، فكأنَّ حالهم في كلِّ وقت هو الخوفُ والرَّجاء؛ فقد صارا علامتَين من علامات التَّعلُّق باللّه دومًا.

**غرضُ تقديم الخوف على الطَّمع:**

التَّخلية قبل التَّحلية منهجٌ قرآنيٌّ

تقديمُ الخوف على الطَّمع من باب التَّخلية والتَّحلية، فالتَّخلية بمعنى أنَّ خوفَهم كان من سخَطِه وعقابِه، فإنَّ أسباب الخوف من نقائصهم كثيرةٌ، سواءٌ أعرَفُوا سببًا يُوجب خوفًا أم لا؛ لأنَّهم لا يأمَنُون مكرَ اللّه الذي يفعلُ ما يشاءُ، ولا يُسأل عمّا يفعل، وأمّا ﴿وَطَمَعًا﴾ فتحليةٌ؛ أي: طمعًا في رضاه المُوجبِ لثوابِه، قال ابن عبّاس: "خوفًا من النّار وطمعًا في الجنَّة"[1]، فكان تقديمُ الخوف على الطَّمع مُناسبًا، ويُضافُ إلى ذلك عادة القرآن المُتأصِّلةُ، ذلك أنَّ القرآن إذا جمع الخوف والطَّمع فإنَّه يُقدِّم الخوف على الطَّمع دومًا.

وقدَّم الخوف تنبيهًا على أنَّ اللّائق بحال أهل الإيمان تغليبُ الخوف على الرَّجاء، وإن اجتهد في تحصيل الرِّضا، وجمع بينهما في وصف حالهم في الدُّعاء؛ لأنَّ ذلك من خواصِّ المؤمن الكامل؛ لذلك مدحَهم اللّه تعالى بهما ترغيبًا لهما[2].

(1) الشربيني، السراج المنير: 3/ 210.

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/ 268.

### بلاغةُ الطِّباق بين الخوفِ والطَّمع:

شـرحُ أحـوال النَّفس المُتقلِّبة

الطِّباقُ في قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ يشرحُ أحوالَ النَّفس المُختلفةَ، ويُوضِّحُ ماهيَّتَها، وهؤلاء يعيشون دومًا في كَنَف الله، مرَّةً يخافونه بالغيب، ومرَّةً يطمعون في جنَّته، فحالُهم دومًا التَّعلُّقُ بالله في كلِّ وقتٍ وحينٍ، ثمَّ إنَّ الخوف يأتي لقاء ما يقومُ به البشرُ من أخطاءٍ، لكنَّهم يعودون ثانيةً إلى حظيرة الإيمان والعمل الصّالح، فيطمعون في جنَّته، فاللَّفظتان ترسُمان صورةَ النَّفس المُتقلِّبة الحائرةِ بين جنَّةٍ ونارٍ.

### دلالةُ العطف في قولِه: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾:

الجـمـعُ بين الجـانـبَـين المعنويِّ والمادّيِّ

الواو هنا جاءت عاطفةً لجملة: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ على جملةِ: ﴿يَدْعُونَ﴾، وتأتي قيمةُ العطف من كون هؤلاء يهتمُّون بالجانبَين: الجانبِ المعنويِّ (الصَّلاة والدُّعاء)، والجانب المادّيِّ (الإنفاق)، وهذا يعني شُمولَ الفهم وعُمومَه، وقد يدلُّ العطف أيضًا على الاهتمام بنقاء النَّفس، وذلك بالصَّلاة والدُّعاء والاهتمام بالغير من خلال الإنفاق، فجَمَعت الواو بين خيرَي الدُّنيا والآخرة.

### معنى (مِنْ) في قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾:

سماحةُ الإسلام في طـبـيـعـة النَّفس البشريَّة

دلَّت (مِنْ) في الآية الكريمة: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ على التَّبعيض، وعلامةُ التَّبعيض وضعُ لفظة (بعض) مكانَ (مِنْ) [1]، والتَّبعيضُ هنا مُناسبٌ لطبيعة النَّفس البشريَّة المُحِبَّة للمال والحريصةِ عليه؛ ذلك أنَّ الإنفاقَ يكون من بعض ما رُزقوا، لا كلَّ ما رُزقوا، وهذا يعني أنَّ حذف (مِنْ) سيُحمِّل النَّفس فوق طاقتها؛ لأنَّ المعنى سيكون: (وما رزقناهم ينفقون)، وهذا يعني أنَّهم سيُنفقون كلَّ ما رُزقوا، وهو مُنافٍ لطبيعة الشَّرع والنَّفس.

وممّا لُوحظ في التَّعبير القرآنيِّ أنَّ أسلوب ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

(1) المرادي، الجنى الداني، ص: 309.

يُنفِقُونَ﴾ وردَ في القرآن في أحدَ عشرَ موضعًا[1]، وهذا فيه ملاحظةٌ لطبيعة النَّفس البشريَّة التي تُحبُّ المال حبًّا جمًّا، ومن ثمَّ فإنفاقه كلِّه أمرٌ عسير عليها، حتَّى وإن بلغَت منَ التُّقى مبلغَه.

وقد يُقالُ: للإشعار بأنَّهم يُنفقون بعضَ أموالهم مُبتَعدين عن الإسراف والتَّبذير حتَّى لا يترُكوا ورثتَهم عالةً يتكفَّفون وجوه النّاس.

ويُلاحظ أنَّ معنى التَّبعيض يحملُ معنى ابتداء الغاية، وهذا يعني سرعةَ الإنفاقِ والاهتمامَ به، ففي كلِّ تبعيضٍ معنى الابتداء[2].

**دلالةُ التَّعبير بـ(ما) في ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾:**

بـيـانُ عـمـومِ الإنفاق

التَّعبير بـ(ما) يحملُ اتِّساعًا في المعنى؛ لأنَّ (ما) تُطلق على كلِّ شيء، وما ليس بشيء، ومن ثَمَّ فالإنفاق هنا مُحتملٌ، فقد يُقصَدُ به الصَّدقةُ الواجبة، وقد يُقصَدُ به صدقةُ النَّفل[3]، و(ما) هي التي أحدثَتْ هذا الاتِّساع، وكلاهما محتملٌ، وفي التَّعبير بـ(ما) إشارةٌ إلى أنواعٍ أخرى منَ الرِّزق؛ كالعلم والتَّواضع والحلمِ، والمؤمن مُطالَبٌ بأن يظهرَ أثر ذلك في تعامُلِه مع الآخرين.

**دلالةُ التَّعبير بـ﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾ مادَّةً وصيغةً:**

الـوعـدُ بـالـرِّزق لـكـلِّ مـخـلـوقٍ طمأنةً للنُّفوسِ

آثر القرآن التَّعبير بالرِّزق؛ لأنَّه يُطلق على كلِّ ما يكتسبُه الإنسان، فهو من اللّه ربِّ العالمين، وكلِّ ما يُنتَفَعُ به، ويُطلَقُ على العطاء الجاري دُنيويًّا أو أُخرويًّا، وفى هذا دلالةٌ على أنَّه يحملُ على العموم في المأكل والمشرب والملبس، وكلُّ ذلك مصدرُه من اللّه تعالى؛ فهو الرَّزّاق ذو القوَّة المتينُ، وجاء التَّعبير بصيغة الماضي؛ للدَّلالة على تحقُّقِه أزلًا؛ فاللّه كتب لعبده رزقَه وأجلَه، وفى هذا طمأنةٌ للبطون الجائعة والنُّفوس القلقةِ.

(1) أحمد درويش، دقائق المعاني في القرآن والسنة من خلال تلاحم معاني حرف الجر (من)، ص: 53.
(2) ابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 461.
(3) الشوكاني، فتح القدير: 4/ 293.

### دلالةُ اقتران الفعل: ﴿رَزَقْنَٰهُمْ﴾ بالضَّمير:

عـظـمـةُ الـرِّزق وقيمتُه

اقترانُ الفعل: ﴿رَزَقْنَٰهُمْ﴾ بالضَّمير: (نا) يُفيد تعظيمَ هذا الرِّزق؛ لكونِه من عند الله تعالى، والشَّيء إذا نُسِب لله اكتسبَ عظمتَه وقيمتَه، وهؤلاء المُنفقون إنَّما يُنفقون من فضل الله الكريم لا حيلةَ لهم فيه، بل بحَولِه وقوَّتِه يرزُقُهم ربُّهم[1].

### نكتةُ تقديم شبه الجملةِ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾:

الاخـتـصـاصُ والقصرُ ومُراعاةُ رُؤوسِ الآيِ

لتقديم شبه الجملة على الفعل والفاعل في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ نكتتان؛ الأولى: لفظيَّةٌ، وهي مُناسبة رؤوس الآيات التي تنتهي بحرف النُّون وقبلها الحرفُ السّاكن (يستكبرون، يعملون)، وهذا منَ الإعجاز الصَّوتيِّ في القرآن الكريم، والثّانية: دلاليٌّ لبيان الاختصاص أو القصر؛ أي أنَّ الإنفاقَ ممّا أعطاه الله دونَ غيره[2].

### دلالةُ التَّعبير بالمضارع: ﴿يُنفِقُونَ﴾:

الـــــدَّوامُ والاستمرارُ

جاء التَّعبير القرآنيُّ بالفعل المضارع: ﴿يُنفِقُونَ﴾ دونَ الماضي (أنفَقُوا)؛ ليُشعِرَ بأنَّ الإنفاق منهم يتجدَّدُ بين وقتٍ وآخرَ؛ فالمضارع تجدُّدٌ واستمرارٌ واستحضارٌ للصُّورة، مع مُناسبتِه للفعل ﴿يَدْعُونَ﴾ الذي قبلَه.

### سرُّ التَّعبير بـ﴿يُنفِقُونَ﴾ دونَ غيره:

شُموليَّةُ الإنفاقِ وعُموميَّتُه

آثر القرآن الكريم التَّعبير بالإنفاق في قوله: ﴿يُنفِقُونَ﴾ دون (يُزكُّون) أو (يتصدَّقُون)؛ لأنَّه يشملُ الفرضَ والنَّفل، وكأنَّ الفعل ضمَّ معنى الفرض في الزَّكاة والنَّفلِ في الصَّدقة، وهذا يعني أنَّ الإنفاقَ أعَمُّ، فالمُنفِقُ أعلى حالًا منَ المُزكّي؛ لأنَّ المُزكّيَ يُخرِجُ ما وجبَ عليه فرضًا، أمّا المُنفقُ فيُنفق في الفرض والنَّفل والمادّيِّ والمعنويِّ بوجهٍ عامٍّ، فليس الأمرُ مقصورًا على المال، بل الرِّزق هو

(1) هنداوي، الإعجاز الدلالي في القرآن الكريم، ص: 208.
(2) محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 6/ 3065.

كلُّ ما يُنتَفَعُ به، فالقوَّةُ رزقٌ، والعلم رزقٌ، والحكمةُ رزقٌ، والتَّواضعُ رزقٌ، وكلُّ ما فيه حركةٌ للحياة رزقٌ، فإنْ لم يكن عندك مالٌ لتُنفقَ منه فعندك عافيةٌ تعمل بها لتحصُلَ على المال، وتتصدَّقُ بها على العاجز والمريض، وإن كان عندك حلمٌ، فإنَّك تُنفقُه بأن تقيَ الأحمقَ من تصرُّفاتٍ قد تُؤذي المُجتمعَ وتُؤذيك، وإن كان عندك علمٌ فأنفِقه لتُعلِّم الجاهلَ، وهكذا نرى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ تستوعبُ جميع حركةِ الحياة[1].

## سرُّ اختلافِ مراتب العبادة:

تـعـدُّد مـراتـبِ العبادة

في هذه الآية والتي قبلَها إشارةٌ إلى مرتبتَين مختلفتَين، فكأنَّ في الآية الأولى إشارةً إلى المرتبةِ العاليةِ؛ وهي العبادةُ لوجه الله تعالى مع الذُّهول عن الخوف والطَّمع، بدليل قولِه تعالى: ﴿إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ﴾، فإنَّه يدلُّ على أنَّه عند مُجرَّد الذِّكر يُكونُ منهم السُّجودُ وإن لم يكن خوفٌ وطمعٌ، وفي الآية الثّانية إشارةٌ إلى المرتبتَين الأخيرتَين، وهي العبادة خوفًا كمَن يخدم الملك الجبّار مخافةَ سطوتِه أو يخدمُ الملك الجوادَ طمعًا في برِّه[2].

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 1/ 129.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 146.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2025.
مج. 44 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-97-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 44 : المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-732-97-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»